«احتمال ما يبقى إذا استمر الصمت في ميكادينمند»

(مكاتب/أنشود ما استرجعناه)

ميكادينمند – ق.م – ٥٤٥ ق.م. قبل ميلاد المسيح بدأت الحكاية في هذه المدينة الصغيرة على ضفة نهر يشبه خيطاً فضياً يلتف حول سبعة تلال كأنه يحاول خنقها برفق. لم يكن اسمها ميكادينمند في البداية، بل كان يُعرف بين سكانها القدماء باسم «حجر الصدى» لأن كل صوت يُطلق في وادي الصفصاف كان يعود إليهم بعد ثلاثة أيام مضاعفاً ومشوهاً قليلاً، كما لو أن الأرض نفسها تتذكر ما قيل فيها وتعيد ترتيبه وفق مزاجها الخاص. وكان الناس يظنون أن هذا الصدى هبة من الآلهة، إلى أن جاء يوم اكتشف فيه أحدهم أن الصدى لا يكرر الكلمات فقط، بل يحفظها ويخزنها ويعيدها بعد مئات السنين.

تأسست المدينة على يد مجموعة من الرعاة والحرفيين الذين فضلوا الاستقرار بالقرب من النهر بعد أن ضاقت بهم سهول الشرق بما رحبت. بنوا أول ما بنوا معبداً صغيراً للإله «أنليل» حامي الأصوات والذاكرة، وجعلوا كاهنته الأولى امرأة تدعى «نيسابا» كانت تحفظ أنساب القبائل كلها عن ظهر قلب وتستطيع أن تروي قصة كل عائلة منذ أن وطئت قدمها أرض المدينة. وكان هذا المعبد يُسمى «بيت الصدى» وكان الناس يأتون إليه من مسافات بعيدة ليسألوا عن أقاربهم الذين رحلوا ولم يعودوا، أو ليتأكدوا من أن ما سمعوه عن أمجاد أجدادهم كان حقيقياً أم أن الصدى قد أضاف إليه شيئاً لم يكن موجوداً من قبل.

غير أن هذا الصدى لم يكن نعمة خالصة في جميع الأحوال، فقد كان يحمل في طياته بذور الخلاف بين الأجيال بطريقة لم يكن أحد يتوقعها. فالشاب الذي يقول لأبيه إنه سيصبح ملكاً يسمع صوته يعود إليه بعد ثلاثة أيام وقد أصبح أكثر حزماً وأقل تردداً، فيظن أن الصدى يؤيده ويشجعه على المضي في حلمه، بينما يسمع والده الكلمات نفسها وهي تخرج من فمه ثم تعود إليه وقد أضيف إليها نبرة تحدٍّ لم يكن موجودة في الأصل، فيظن أن ابنه يتحداه ويسخر من سلطته. وقد وثّق الكاهن «أمورو» في سجلّ المعبد أكثر من ٤٠٠ حادثة سوء فهم وقعت بسبب الصدى خلال مئة عام فقط، وكان معظمها يبدأ بكلمة واحدة يقولها أحد الطرفين بنبرة لا يقصد منها ما فهمه الآخر.

وفي عام ٤٧٢ ق.م. وقع حدث غيّر مجرى تاريخ المدينة كله. فقد وصل إلى المدينة رجل غريب يُدعى «كالاموس» من جزيرة بعيدة لا يعرف أهلها شيئاً عن أنليل أو عن الصدى. جاء الرجل يحمل معه لوحاً من الطين كتب عليه نظام للكتابة يقوم على رموز صغيرة تمثل أصوات الكلام لا أشياءه، وكان يعتقد أن هذا النظام سيساعد التجار على تسجيل بضائعهم وديونهم بدقة أكبر. رفض الكاهن أمورو أن يضع اللوح في المعبد، وقال إن الكلمة المكتوبة تقتل الصدى لأنها تجمّده في مكان واحد بينما الصدى يتحرك ويتغير مع كل من يحمله. لكن الشاب الذي سمع صوته يعود إليه بعد ثلاثة أيام وقد أصبح أكثر حزماً وأقل تردداً، هذا الشاب نفسه، رأى في اللوح وسيلة لحفظ ما يريد أن يقوله دون أن يخضع لتفسير أحد.

انتشر الخلاف بين الكاهن والغريب بسرعة كالنار في الهشيم، وانقسم الناس إلى فريقين كبيرين: فريق يرى أن الصدى مقدس لا يجوز المساس به، وفريق يرى أن الكتابة ليست إلا أداة مثل المجرفة والمنجل لا تلغي الأرض بل تساعد على زراعتها. وبلغ الخلاف ذروته في ليلة الاعتدال الربيعي حين اجتمع أهل المدينة كلهم في الساحة الكبرى ليسمعوا الصدى يتلو أسماء القتلى في حرب قديمة. فبدأ الكاهن يتلو الأسماء واحداً تلو الآخر، وكان الصدى يعيدها كما سمعها، إلى أن وصل إلى اسم أخيه الذي مات شاباً في الثلاثين من عمره، فسمع الجميع الصدى يقول اسم أخيه مضافاً إليه كلمة واحدة لم يقلها أحد قط: «الجبان». ساد صمت ثقيل لا يشبه صمت الليل، وبكى الكاهن أمورو للمرة الأولى منذ أربعين سنة، ثم كسر اللوح بيديه وأمر بدفنه في أساس المعبد الجديد.

ومنذ ذلك اليوم تغيّر كل شيء في ميكادينمند بطريقة لم يكن أحد يتوقعها. فلم يُحرق اللوح ولم يُدفن في الظلام، بل وُضع في خزانة خشبية بجانب المعبد وكُتب على بابها: «هنا يسكن الصدى الذي يُكتب». وبدأ الناس يأتون إلى الخزانة ليقرأوا ما كتبه الآخرون، فاكتشفوا أن الكتابة لا تقتل الصدى بل تُنقذه من الضياع حين يموت حامله. وتعلّم الأطفال القراءة والكتابة في مدرسة صغيرة ملحقة بالمعبد، وصار الكاهن أمورو أول من يُعلّم فيها، وكان يقول لتلاميذه إن الصدى أمانة في أعناقكم لا يجوز أن تخونوه بالصمت ولا بالكلمة الخاطئة.

وبعد مئة عام كانت ميكادينمند تكتب ما يزيد على ٢٦٠ ألف لوح طيني، وكان الصدى فيها قد تعلّم أن يتكلم بصوت أوضح مما كان عليه قبل الكتابة، لأن الناس صاروا يقارنون ما يسمعونه بما هو مكتوب فيكتشفون الفرق بين ما قيل وما أُريد قوله. وهكذا بقي الصدى حيّاً، لكنه لم يعد وحده يقرر ما يقوله، بل شاركه في القرار كاتب يجلس في ظل المعبد ويمسك بقلمه ليقول للصدى: هذا ما أريدك أن تقوله اليوم. وهذا سؤال لا يزال يُطرح في كل مدرسة وكل بيت وكل شاشة: هل نكتب لنقتل الصدى أم لنمنحه جسداً يبقى بعد موتنا؟

(المحرر/أنشود ما استرجعناه)

المدرسة الأهلية بوادي الصفصاف تعلن عن افتتاح التسجيل للعام الدراسي 2026 – 2027 للصفوف من الأول حتى السادس. الدوام من الثامنة صباحاً حتى الثانية ظهراً، والرسوم السنوية 640 ديناراً تُدفع على أقساط ثلاثة. للاستفسار الاتصال بالهاتف 0499 112 03 أو زيارة المدرسة في شارع المعلمين.

مطعم سدرة الجبل يعلن عن حاجته إلى نادل ومساعد مطبخ للعمل مساء الخميس والجمعة والسبت، الراتب مجزٍ والبقشيش يُقسم بالتساوي. يُفضل من يسكن قرب الطريق الدائري. الاتصال بالهاتف 0499 112 03 أو الحضور شخصياً.

تعلن بلدية وادي الصفصاف عن طرح مناقصة لتوريد 12 طناً من الإسمنت وتعبيد ٤٠٠ متر من طريق المقالع. تُباع وثائق المناقصة مقابل ٢٥ ديناراً في قسم المشتريات خلال الدوام الرسمي، وآخر موعد لتقديم العروض الساعة الثانية عشرة من يوم الأحد ٢٤ الجاري. لا تُقبل العروض المتأخرة أو الناقصة.

فقدت يوم الثلاثاء الماضي حقيبة يد سوداء صغيرة في سوق الخميس تحتوي على بطاقة هوية وبعض الأدوية. الرجاء ممن وجدها تسليمها إلى أي صيدلية في المدينة مقابل مكافأة مجزية، أو الاتصال بالهاتف 0499 112 03 وطلب السيدة منيرة الحلواني.

تعلن بلدية وادي الصفصاف عن طرح مناقصة لتوريد 12 طناً من الإسمنت وتعبيد ٤٠٠ متر من طريق المقالع. تُباع وثائق المناقصة في قسم المشتريات مقابل ٢٥ ديناراً خلال الدوام الرسمي، وآخر موعد لتقديم العروض الساعة الثانية عشرة من يوم الأحد ٢٤ الجاري. لا تُقبل العروض المتأخرة أو الناقصة.

فقدت يوم الثلاثاء الماضي حقيبة يد سوداء صغيرة في سوق الخميس تحتوي على بطاقة هوية وبعض الأدوية. الرجاء ممن وجدها تسليمها إلى أي صيدلية في المدينة مقابل مكافأة مجزية، أو الاتصال بالهاتف 0499 112 03 وطلب السيدة منيرة الحلواني.

مطعم سدرة الجبل يعلن عن حاجته إلى نادل ومساعد مطبخ للعمل مساء الخميس والجمعة والسبت، الراتب مجزٍ والبقشيش يُقسم بالتساوي. يُفضل من يسكن قرب الطريق الدائري. الاتصال بالهاتف 0499 112 03 أو الحضور شخصياً.

المدرسة الأهلية بوادي الصفصاف تعلن عن افتتاح التسجيل للعام الدراسي 2026 – 2027 للصفوف من الأول حتى السادس. الدوام من الثامنة صباحاً حتى الثانية ظهراً، والرسوم السنوية 640 ديناراً تُدفع على أقساط ثلاثة. للاستفسار الاتصال بالهاتف 0499 112 03 أو زيارة المدرسة في شارع المعلمين.

(المحرر/أنشود ما استرجعناه)

بلدية وادي الصفصاف – الأربعاء ٣ أيار ٢٠٢٦ – ق.م. أعلنت